(٦٢)

إيثار الأنصار!

* ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الحشر: الآيتان: ٩ - ١٠]

* ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الحشر: الآية: ٢١]

* ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [سورة المائدة: الآيتان: ٥٥ - ٥٦].

* ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: الآية: ١٤٦].

* ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [سورة السجدة: الآيتان: ١٥ - ١٦].

* * *

«المدينة بعد رحيل بنى النضير، وقد هدأت نفوس، وأسفت نفوس أخرى، وقلق المنافقون.. كان لهم فى بنى النضير عزوة وسند!!.. برحيلهم نزعت شوكة كانت تضرب بسمومها فى أمان المدينة والمسلمين.. المسجد النبوى، ورسول الله ﷺ فى صحابته.. يفكر عليه السلام فى أن يخفف بما أفاء الله به عن الأنصار الذين تحملوا لسنوات إخوانهم المهاجرين فى كرم وإيثار.. يدعو عليه السلام إليه ثابت بن قيس..».

النبى : (لثابت بن قيس) ادع لى قومك.

ثابت بن قيس : (متسائلا) الخزرج يا رسول الله؟

النبى : بل ادع الأنصار كلها، الأوس والخزرج.

«ينطلق ثابت بن قيس..»

* * *

«بالمسجد النبوى بعد بضع ساعة، وقد اكتمل حضور الأنصار من الأوس والخزرج.. المسجد يموج بالأنصار والمهاجرة، يتشوفون إلى معرفة فيما أراد النبى عليه السلام الأنصار إليه الآن.. النبى يلبى أشواقهم فيبدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه سبحانه بما هو أهله، ويثنى بذكر الأنصار وكريم ما صنعوا مع المهاجرين وإنزالهم إياهم فى منازلهم وإيثارهم على أنفسهم.. يذكر ما أفاء به الله تعالى من أراض..».

النبى : (للأنصار) ليس لإخوانكم من المهاجرين أموال، فإن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين مما أفاء الله تعالى، وكان المهاجرون على ماهم عليه من السكنى فى مساكنكم..

الأنصار : هم إخواننا يا رسول الله.

النبى : (يستأنف) وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم..

سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: يا رسول الله بل نقسمه بين المهاجرين، ويكونون فى دورنا كما كانوا..

بعض الأنصار : بل اقسم لهم من أموالنا ما شئت يا رسول الله..

«يتنادى الأنصار مؤيدين..»

النبى : بارك الله لكم.. (تهدأ الأصوات) لا.. إن الأرض أرضكم، ولكن تكفونهم المئونة وتقاسمونهم الثمرة..

الأنصار : (متنادين) رضينا يا رسول الله

النبى : (داعيًا) اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار..

«تتصاعد تكبيرات المسلمين، ويتغشاهم الرضا والرحمات، وتشيع المسرات مجدولة بما بين الأنصار والمهاجرين من محبات..».

* * *

«النبى ﷺ خال إلى نفسه يتعبد ويتهجد ويناجى ربه، يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الحشر: الآيات: ٧ – ١٠]

(يرتفع الوحى)

* * *

«المسلمون وأهل المدينة يتذاكرون ما كان من المنافقين ووعودهم الكاذبة إلى بنى النضير بالنصر، وما كان يقوله بعض اليهود من بنى قريظة من وعود لبنى النضير من أنهم لو خرجوا لخرجوا معهم.. وما كان من بنى النضير من خيانة وعناد، وكيف حاقت بهؤلاء وأولاء جرائر سوء نواياهم وأفعالهم..».

«النبى ﷺ فى تعبده وتهجده ومناجاته، يوافيه جبريل عليه السلام فيوحى إليه من آيات رب العالمين».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ

لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن
قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا
يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي
قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ
جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ
الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ
خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ
لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

[سورة الحشر: الآيات: ١١ - ٢٣]

(يرتفع الوحى)

* * *

«حصون وديار بنى النضير بالمدينة، عمرو بن سعدى يطوف بها متأملا وقد خلت من ساكنيها.. يمضى بتأملاته إلى بنى قريظة.. يتلمسهم فيجد معظمهم فى معبدهم، فيبادر إلى بوقهم فينفخ فيه، تلتوى الأعناق إليه!».

الزبير بن باطا : (لعمرو متسائلاً) يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل؟! إنك تتأله فى اليهودية ولا تفارق المعبد.. فأين كنت؟!!

أبو سعيد عمرو بن سعدى: رأيت اليوم عبرًا قد عبرنا بها، رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع، قد تركوا حصونهم وخرجوا خروج ذل، ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة، وقد أوقع ذلك بابن الأشرف ذى عزهم، وأوقع بابن سنينة سيدهم، وأوقع ببنى قينقاع فأجلاهم وهم أهل جد يهود، وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة، فحصرهم وأجلاهم من يثرب، يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعون وتعالوا نتبع محمدًا، والله إنكم لتعلمون أنه نبى قد بشرنا به وبأمره – ابن الهيبان أبو عمير وابن حراش، وهما أعلم يهود جاءانا يتوكفان قدومه وأمرانا باتباعه، جاءانا من بيت المقدس وأمرانا أن نقرئه منهما السلام، ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحرتنا هذه.

«بنو قريظة ساكتون، لا يتكلمون..»

الزبير بن باطا : (بعد برهة) قرأت صفته فى كتاب باطا، التوراة التى نزلت على موسى، ليس فى المثانى الذى أحدثنا..

كعب بن أسد : (للزبير) فما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه؟!

الزبير بن باطا : أنت يا كعب!

كعب بن أسد : (يردد مدهوشًا) أنا؟! فلم؟! (يستأنف) ما حلت بينك وبينه قط!!!

الزبير بن باطا : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا.. إن اتبعته اتبعناه، وإن أبيت أبينا!!

«يبادر عمرو بن سعدى. فينتحى بكعب بن أسد.. يتقاولان ويتحادثان فيطيلان الحديث والباقون يرقبون..».

عمرو بن سعدى : (وهو يغادر) ما عندى فى أمره إلا ما قلت: ما تطيب نفسى أن أصير تابعًا!

«بنو قريظة ملجمون صامتون كأن على رؤوسهم الطير!!».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. عبدالله بن سلام (الحصين بن سلام قبل إسلامه)، جالس بين المسلمين ومعه نجله. وفيهم عمر بن الخطاب.. يأخذهم الحديث إلى النور الذى أفاء به الله تعالى على الحصين فاهتدى وأسلم باكرًا وتسمى بعبدالله.. ما كاد يرى الرحمة المهداة فور وصوله عليه السلام إلى المدينة، حتى انفتح له قلبه، وتغشته الهداية، فآمن به وأعلن اسلامه.. يتذاكر المسلمون كيف طلب يومها إلى النبى عليه السلام أن يخفى عن يهود إسلامه ويسألهم عنه، فشهدوا له - وهم لا يعلمون أنه أسلم - بأنه

خيرهم وسيدهم وأعلمهم وحبرهم، فلما عرفوا بإسلامه، انقلبوا يكيلون له، ويفتاتون عليه.. لا يخفى ابن عبد الله بن سلام إعجابه بصدق فراسة وسرعة هداية أبيه.. يتساءل وغيره، كيف اهتدى باكرًا إلى آيات النبوة فى رسول الله فور أن اكتحل بطلعته!!».

عبدالله بن سلام : (لابنه) لا تدهش أى بنى، فلأنا كنت أشد معرفة برسول الله من معرفتى بابنى!

عمر بن الخطاب : وكيف ذاك يا ابن سلام؟!

عبدالله بن سلام : كنت أعرفه بصفته وتوقيت بعثه قبل أن أراه.

أحد الصحابة : فكيف يا ابن سلام – يرحمك الله – تعرفه ﷺ بأكثر مما تعرف ابنك؟!

عبدالله بن سلام : لأنى أشهد أن محمدًا رسول الله حقًّا ويقينًا، وأنا لا أشهد بذلك على ابنى، لأنى لا أدرى ما أحدث النساء بعدنا.

عمر بن الخطاب : وفقك الله يا ابن سلام..

أحد الصحابة : (لابن سلام) عادتك يهود منذ أسلمت، وعادت من أسلم بعدك منهم!

عبدالله بن سلام : شكونا أيامها لرسول الله، وقلنا له إن منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدث، وإن قومنا لما رأونا آمنا بالله ورسوله وصدقناه، رفضونا وعادونا وآلوا على أنفسهم ألا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا، ولا نستطيع مجالسة أصحابه لبعد المنازل..

صحابى : إنى لأذكر كيف خرج رسول الله يبشركم يومها بما نزل عليه فيكم من القرآن.. (يتلو) ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

[سورة المائدة: الآيتان: ٥٥ - ٥٦].

عبدالله بن سلام : قلنا يومها: رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين أولياء..

«المسلمون يكبرون..»

* * *

«النبى ﷺ فى تعبده وتحنثه وتهجده، يوافيه جبريل عليه السلام - فيوحى إليه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [سورة البقرة: الآيات: ١٤٦ - ١٤٨].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة، وقد أتت الأنباء بأن غطفان التى تخلفت عن بنى النضير، قد جمعت جموعًا بنجد هى وبنو محارب وبنو ثعلبة.. يريدون المسلمين.. النبى ﷺ يشاور صحابته، فيقر الرأى على المبادرة بالمسير إليهم.. يتجهز المسلمون ويتجمعون بظاهر المدينة للخروج إلى نجد.. على نحو مرحلتين من المدينة..».

* * *

«بعد يوم.. المسلمون يحطون الرحال فى «نخل».. موضع بنجد من أرض غطفان، يطل عليه جبل بقريب من النخيل.. الجبل فيه بقع حمراء، وأخرى سوداء، وبيضاء.. فى المكان شجرة يقال لها ذات الرقاع اعتاد بعض العرب أن يتعبدوها فى الجاهلية، وكل من له فيهم حاجة يربط فيها خرقة أو رقعة! المسلمون يتفقدون المكان فيكتشفون أن الأعراب حين أحست بطلائعهم هربت إلى رؤوس الجبال..».

«بعد فترة، على مدى البصر جموع لغطفان وأحلافها تتجمع.. لا يريد المسلمون أن يبدأوهم بقتال حتى يروا ما يضمرون، بينما وقفت غطفان مشفقة خائفة من قتال المسلمين.. المسلمون على ما هم عليه من إيثار السلام ما دام القوم لم يبادئوهم بقتال.. يحين ميقات الصلاة.. النبى – عليه السلام – ينادى فى المسلمين للصلاة..».

بعض المسلمين : يا رسول الله إنا نضرب فى الأرض، والعدو مشرف علينا..

«النبى ﷺ يوافيه جبريل – عليه السلام – فيوحى إليه..»

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [سورة النساء: الآية: ١٠١]

«النبى – عليه السلام، يقسم المسلمين شطرين.. جعل شطرًا فى مواجهة العدو الرابض، وشطرًا

خلفه ﷺ.. يبدأ – عليه السلام – فيكبر ويكبر الجميع وراءه.. ثم يصلى بمن خلفه ركعتين ويسلم، ثم يصلى بالشطر الأمامى ركعتين ويسلم..».

* * *

«بعد يوم.. المسلمون لا يجدون فى غطفان رغبـــة فى القتال، يقر رأيهم – وقد حقق خروجهم غايته – على الإياب.. يرفعون مضاربهم ويممون شطر المدينة بسلام..».

* * *

«فى بعض الطريق، وقد حط المسلمون رحالهم، وانتووا أن يبيتوا ليلهم..».

النبى : (لأصحابه) من رجل يكلؤنا ليلتنا؟

الجميع : (متسابقين) أنا يا رسول الله.

«النبى ﷺ يشكرهم ويدعو لهم بخير.. ينتدب للحراسة عمار بن ياسر من المهاجرين، وعباد بن بشر من الأنصار.. ينطلقان إلى حيث عين لهما.. المكان بفم الشعب من الوادى الذى نزلوا فيه..».

«عمار بن ياسر، وعباد بن بشر بفم الشعب، وقد اتخذا للأمر أهبته، وحمل كل منهما سلاحه..».

عباد بن بشر : (لعمار) أى الليل تحب أن أكفيكه: أوله أم آخره؟

عمار بن ياسر : بل اكفنى أوله..

«ينهض عباد بن بشر للحراسة، بينما يهجع عمار لينام انتظارًا لدورة حراسته فى النصف الأخير من الليل..».

«بعد فترة.. عباد بن بشر يغتنم هدأة الليل، فيشرع فى صلاة خاشعة.. على مسافة يقترب متلصصًا رجل من الأعراب فقد جارية له، وأقسم ألاّ ينتهى حتى يُهريق فى أصحاب محمد دمًا.. ينتهز فرصة قيام عباد بن بشر فى صلاته، فيرشقه بسهم.. عباد يغالب ألمه، وينزع السهم ويمضى فى صلاته لا يريد أن يقطعها.. الرجل يرميه بسهم آخر، فيضعه ويثبت قائمًا يصلى، ولكن الرجل يرشقه بالثالث..عباد ينزعه ويضعه، ثم يركع ويسجد، وينادى برفق على صاحبه عمار..».

عباد بن بشر : (لعمار – بصوت خفيض) اجلس يا أبا اليقظان – فقد أُتيت!

«ينهض عمار بن ياسر مسرعًا، فيهوله ما يراه من إصابة صاحبه عباد وما يلفاه من نزيف الدماء..».

عمار بن ياسر : (لعباد مشفقًا معاتبًا) سبحان الله، أفلا أهببتنى (أيقظتنى) أول ما رماك؟!

عباد بن بشر : كنت فى سورة أقرؤها، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها.. فلما تابع علىّ الرمى ركعت فآذنتك.. وأيم الله لولا أن أُضيع ثغرًا أمرنى رسول الله بحفظه – لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفذها!

«الأعرابى وقد رأى استيقاظ عمار، والتفاتهما لأمره، وخشى النداء على الباقين.. يبادر هاربًا مكتفيًا بما أتاه!».

* * *

«المسلمون فى طريق العودة إلى المدينة من ذات الرقاع من نَخْل.. الجمل الذى يمتطيه جابر بن عبد الله، جمل ضعيف البنية ثقيل الخطو بطىء السير.. المسلمون يمرون به بينما يتخلف جابر ببعيره.. على جانب من الطريق، يلمح - عليه السلام - صاحبه جابر بن عبد الله وقد تخلف عن الباقين..».

النبى : ما لك يا جابر؟

جابر بن عبد الله : يا رسول الله، أبطأ بى جملى!

النبى : أنخه!

«جابر بن عبد الله ينيخ جمله، وكذلك يفعل الرحمة المهداة.. يبادر - عليه السلام - إلى صاحبه..».

النبى : (لجابر) أعطنى هذه العصا من يدك، أو اقطع لى عصا من شجرة..

«جابر يسارع فيناول الرسول - عليه السلام - عصاه، ويقطع هو لنفسه أخرى من شجرة على الطريق.. النبى - عليه السلام - ينخس جمل صاحبه نخسات.. ثم يلتفت إليه..».

النبى : (لجابر) اركب.

«ما يدرى جابر وقد امتطى الجمل، إلا وهو يسرع به كأنه يجرى..».

جابر بن عبد الله : (مدهوشًا) ماذا فعلت له يا رسول الله؟

النبى : (متبسطًا) أتبيعنى جملك هذا يا جابر؟

جابر : بل أهبه لك يا رسول الله.

النبى : لا، ولكن بِعْنيه.

جابر : فَسُمنيه يا رسول الله.

النبى : (مداعبًا فى محبة) أخذته بدرهم.

جابر : (متبسمًا) إذن تغبننى يا رسول الله!

النبى : (متبسمًا) فبدرهمين!

جابر : زد يا رسول الله.

«النبى - عليه السلام - يزيد له فى الثمن حتى يبلغ به الأوقية..».

جابر : أفقد رضيت يا رسول الله بأوقية؟

النبى : نعم.

جابر : هو لك يارسول الله.

النبى : وقد أخذته.. (يستأنف) يا جابر، هل تزوجت بعد؟

جابر : نعم يا رسول الله.

النبى : (متباسطًا) أثيّبا أم بكرًا؟

جابر : بل ثيّبا، يا رسول الله.. إن أبى أصيب - كما تعلم - يوم أحد، وترك بناتًا له سبعًا، فتزوجتُ امرأة جامعة تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن.

النبى : أصبت إن شاء الله، أما إنا لو جئنا (وصلنا) صِرارًا (موضع على ثلاثة أميال من المدينة) أمرنا بجزور فَنُحرت وأقمنا

عليها يومنا ذاك، فتسمع بنا زوجك فتنفض نمارقها (وساداتها)..

جابر : يا رسول الله، ما لنا من نمارق!

النبى : إنها ستكون، فإذا قدمت فاعمل عملا كيسًا..

* * *

«بدار جابر بن عبد الله، جالس إلى امرأته بعد أن وَفّى النبى - عليه السلام - بوعده.. يروى لها ما وجهه إليه ﷺ برًّا بها وحدبًا عليها ووفاءً بما تبذله له ولبنات أبيه..».

الزوجة : (مليئة بالرضا والمسرة) حمدًا لله ورسوله. أما أنت، فدونك سمع وطاعة.

* * *

«فى الصباح.. جابر بن عبد الله ينيخ جمله الذى باعه إلى الرسول ﷺ بأمس - أمام باب المسجد النبوى.. جابر يجلس فى انتظار مقدم الرحمة المهداة.. يلتفت ﷺ فيرى الجمل قابعًا أمام باب المسجد..».

النبى : (متسائلاً) ما هذا؟!

بعض المسلمين : يا رسول الله، هذا جمل جاء به جابر بن عبد الله.

النبى : فأين جابر؟!

جابر : (وهو يتقدم إليه) لبيك يا رسول الله.

النبى : (حانيًا) يا ابن أخى خذ برأس جملك فهو لك..

«يأخذ جابر بخطام بعيره شاكرًا داعيًا للرحمة المهداة.. ينصرف فى رضا وسلام..»

النبى : (ينادى بلال بن رباح).. يا بلال اذهب إلى جابر، فأعطه أوقية وعدناه بها.. وزده..

«يطير بلال ليلحق بجابر بن عبد الله.. ويوافيه بنفحة المحبة النبوية..».

* * *

«ثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ٤ هـ.. دار أبى سلمة: عبد الله بن عبد أسد المخزومى.. صاحب الهجرتين، وأول من هاجر من أصحاب رسول الله إلى يثرب.. أخو النبى عليه السلام فى الرضاع، وابن عمته برة بنت عبد المطلب.. بطل بدر وأحد، وقائد المسيرة بعدها إلى جبل قطن.. فى فراشه يعانى معاناة شديدة من انتكاء جرحه الذى أصيب به فى أحد!! تتعاظم آلام أبى سلمة، ويحس دبيب الموت يسرى إليه.. زوجه أم سلمة: هند بنت أبى أمية بن المغيرة، أو بنت «زاد الركب» كما اعتاد الناس أن يطلقوا على أبيها لكرمه وجوده.. تجلس آسية خافقة القلب إلى جوار زوجها تطببه وتخفف عنه..»

أبو سلمة : (مغالبًا آلامه) اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلا خيرًا منى..

أم سلمة : (مشجعة) لا بأس عليك يا أبا سلمة.. إنك بخير إن شاء الله..

«النبى ﷺ يستأذن فى الدخول إليه ليعوده.. يجلس عليه السلام إلى جواره على فراشه.. يدعو له بخير، ويكفكف عنه.. أبو سلمة يجود بآخر

أنفاسه، فيسبل النبى بيده عينيه - تنثال عبرات الحاضرين فى صمت ووقار احترامًا لوجود رسول الله..».

«يكبر عليه السلام تسع تكبيرات على الراحل المسجى!!».

أحد الحاضرين : يا رسول الله، كبرت تسع تكبيرات.. أسهوت أم نسيت؟!

النبى : (حزينا آسيًا) لم أسهُ ولم أنس، ولو كبرت على أبى سلمة ألفًا.. كان أهلاً لذاك.. (داعيًا) اللهم أفسح له قبره، وأضئْ له فيه، وعظم نوره، واغفر ذنبه.. اللهم ارفع درجته فى المهديين، واخلفه فى تركته فى الغابرين.. (داعيًا لأم سلمة وهو يغادر) اللهم عزّ حزنها واجبر مصيبتها واخلفها خيرًا..

«تنثال العبرات مصحوبة بالدعوات للصحابى الجليل الذى بذل وأوفى..».

* * *

«المدينة، أرواح المؤمنين وأفئدتهم معلقة بالواحد الأحد رب العالمين.. لا يصرفهم صارف عن عبادتهم وتحنثهم، يذوبون حبًّا فى الله تعالى، ويتقربون إليه بالعبادات والصلوات.. وإنهم لفى حرصهم ألا تفوتهم صلاة العشاء، أو «العتمة» فيما كانت تسمى به، ليخشون أن يخلدوا إلى النوم مخافة ألاّ يستيقظوا للصلاة.. يصلون المغرب فتتجافى جنوبهم عن المضاجع شوقًا إلى صلاة

العشاء.. يصلون صلاة المغرب بصلاة العشاء، يبتهلون إلى الله تعالى، ويدعونه سبحانه خوفًا وطمعًا ورجاء.. يتطوعون بالصلوات والأدعيات ما بين المغرب وحلول العشاء..».

«النبى ﷺ قرير العين بصحابته الأبرار الذين ذابوا حبًا فى الله ورسوله، وآمنوا فصدقوا.. يناجى عليه السلام ربه ويبتهل إليه، وإنه لفى تهجده يتنزل عليه الروح الأمين فيوحى إليه من كلمات رب العالمين..

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة السجدة: الآيات: ١٥ – ١٧]

(يرتفع الوحى)

* * *